بعض من الجوانب الاجتماعية لمجتمع مدينة القيروان

baed almuathirat aliajtimaeiat limujtamae madinat alqayrawan

أ.د. حسين علي قيس

جامعة المستنصرية – كلية الآداب – قسم التاريخ

drdabdo@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص باللغة العربية

ان بناء مدينة القيروان لكي تكون قاعدة لانطلاق الجيوش العربية الاسلامية باتجاه المغرب والاندلس لتحل محل مدينة الفسطاط واختطاط المدينة اعطى دعماً مادياً ومعنوياً لحركات التحرير العربية الاسلامية في المغرب والاندلس.

وقد ضمت بين ظهرانيها كل من العرب الوافدين اضافة الى عرب المغرب كما ضمت اجناساً اخرى عاشوا في المدينة في ظل النظام السياسي الذي اوجده الاسلام، وان المجتمع الاسلامي في القيروان كان مجتمعاً اسلامياً متماسكا ، كما ان العلاقات الاجتماعية والروابط كانت مشابهة لما عليه في المدن الاسلامية الاخرى ، اذ اشتركت الشرائح الاجتماعية بواسطة الزواج .

كلمات مفتاحية : (بلاد المغرب ، القيروان ، عقبة بن نافع ، الجوانب الاجتماعية) .

Abstract

The construction of the city of Kairouan to be a base for launching the Arab Islamic armies towards Morocco and Andalusia, to replace the city of Fustat, and the planning of the city gave material and moral support to the Arab Islamic liberation movements in Morocco and Andalusia.

It included among its members all of the expatriate Arabs in addition to the Arabs of Morocco.It also included other races who lived in the city under the political system created by Islam.The Islamic community in Kairouan was a cohesive Islamic community, and the social relations and ties were similar to what they were in other Islamic cities.The social segments participated through marriage.

المقدمة

تعد مدينة القيروان اولى الامصار التي مصر في بلاد المغرب من قبل القائد العربي المسلم عقبة بن نافع عام (٥٠ هـ) والتي كانت تشكل قاعدة لانطلاق الجيوش العربية الاسلامية باتجاه المغرب والاندلس، لتحل محل مدينة الفسطاط واختطاط المدينة اعطى دعماً مادياً ومعنوياً لحركات التحرير العربية الاسلامية في المغرب والاندلس.

ان الجوانب الاجتماعية مهمة لدراسة اي مدينة فكان بحثنا هذا لتوثيق لبعض من هذه الجوانب الاجتماعية في هذه المدينة الاسلامية من خلال عرض لشرائح المجتمع الساكنة فيها وكيفية تعامله من بعض العادات الاجتماعية التي كانت رائجة آنذاك في اغلب المدن الاسلامية ومنها القيروان .

فقد شكلت الجوانب الاجتماعية للقاطنين في مدينة القيروان جزءا مهما لتوثيق هذه الجوانب من خلال الاحتفالات الدينية او الترفيهية اضافة الى ذكر لبعض عادات الطعام واللباس التي كان يستخدم في مدينة القيروان

وان المجتمع الاسلامي في القيروان كان مجتمعاً اسلامياً متماسكا ، كما ان العلاقات الاجتماعية والروابط كانت مشابهة لما عليه في المدن الاسلامية الاخرى اذ اشتركت الشرائح الاجتماعية بواسطة الزواج فيما بينها وهذا الامر دعم التماسك الاجتماعي.

تسمية القيروان

القيروان في اللغة هي القافلة (الحق، ١٩٥٥، صفحة ١١٣٩/٣) يقال ان القافلة نزلت بذلك المكان وبنيت المدينة في موضعها فسميت باسمها (ابادي، صفحة ١٢٨/٢)

وتذكر بعض المصادر التاريخية بانها سميت بالقيروان ،لان العرب اقرت رحلها فيها (الواقدي، فتوح افريقية، تونس، صفحة ٤/١) .

وفي مصدر اخر فيذكر بانه اختلف في لغة العرب في لفظ القيروان فقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش وقيل محط اثقال الجيش (الدباغ، مصر، صفحة ٨/١) .

لمحة تاريخه عن بناء مدينة القيروان

استعمل معاوية بن ابي سفيان عقبة بن نافع على ولاية افريقية في سنة خمسين هجرية وكان مقيماً ببرقة (الحموي، صفحة ٣٠٨/٢) وزويلة (الحموي، صفحة ٤٨٩/٤) منذ ايام عمرو بن العاص في عشرة الاف من المسلمين فحررها ودخلها أي انه استطاع تحرير مناطق في افريقية قبل وصوله الى مكان القيروان.

ووضع السيف في اهلها وقال لأصحابه فأرى لكم يامعشر المسلمين ، ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام الى اخر الدهر (عذاري، صفحة ٩/١)

لم يكن عقبة بن نافع اول من فكر في استقرار المسلمين في شمال افريقية بل سبقه معاوية بن حديج وقد ذكر انه اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان واقام بها مدة اقامته بأفريقية، وحفر آباراً عند باب تونس في ناحية الجبل منه منحرفة للشرق، بالقرب من مصلى الجنائز ، تسمى للآن آبار حديج غلب عليها اسم ابيه وذلك قبل تأسيس القيروان (المالكي، صفحة ٦٠/١) فلم يُعجبْ عُقبه بالمكان الذي كان معاوية بن حديج بناهُ من قبل

فركب والناس معه حتى جاء موضع القيروان اليوم (الحكم، فتوح افريقيا والاندلس، صفحة ٥٤) ان عدم رغبة عقبة بن نافع عن اتخاذ المكان الذي اتخذه ابن حديج من قبل قاعدة للمسلمين لكونها قريبة من البحر (عذاري، صفحة ١٩/١) .

وقال اصحاب عقبه نَقْرُب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط وكان جواب عقبه لأصحابه إذ قال "اني اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية بغتةً، فيملكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر الا وقد عُلم به ، واذا كان بينها وبين البحر مالا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون " (عذاري، صفحة ١٩/١)

فلما اتفقوا على هذا قال " قربوها من السبخة فان دوابكم الابل وهي التي تحمل اثقالكم فاذا فرغنا منها لم يكن لنا بُد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا منها الاول فالأول وتكون ابلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى " (مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، الصفحات ١٣-١٤) .

وعندما اراد عقبة بناء مدينة القيروان وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام (الحكم، فتوح مصر و المغرب، الصفحات ٢٦٤ – ٢٦٥) يسر الله له ذلك اذ كان عقبة ابن نافع مستجاب الدعوة (البلاذري، صفحة ٢٣٦) وكان في عسكره ثمانية عشر رجلا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (القزويني، صفحة ٢٤٢)

ونادى " ايتها الحيات والسباع نحن اصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد هذا قتلناه " (النويري، نهاية الارب، صفحة ٢٣/٢٤) فخرجت جميع الحيوانات من ذلك المكان (خياط، صفحة ١٩٥/١) .

وقبل شروع عقبة في تخطيط المدينة امر الجند بتنظيف المكان بما فيه من اشجار وقد امر عقبه بقطع الاشجار وحرقها حتى تكون الارض صالحة للبناء فبنيت فيها مدينة سميت بالقيروان (الواقدي، فتوح افريقية، صفحة ٤/١)

بدأ عقبة بن نافع ببناء المسجد الجامع ودار الامارة وحولها اختط الجند مساكنهم وكان لكل قبيلة خطة خاصة

وبعد ان خطط عقبة لأصحابه اماكن نزولهم وكأنه قلد في ذلك السنن التي اتبعها قبله العرب المسلمون انشاء المدن الاسلامية الاولى البصرة والكوفة والفسطاط فانهم كانوا يفردون كل قبيلة او بطن من بطون العرب الفاتحين بناحية معينة من التقسيم لأنشاء مساكنهم، فقد نزل قوم من فهر وهم قوم عقبة بن نافع بالجهة الشمالية من الجامع وبنوا بها مساكنهم وعرف هذا الحي بمنازل الفهريين (حسن، ١٩٦٥، صفحة ٤٧/١)

كان للأنصار رحبة ومسجد وضع بمحرس الانصار وهذا المحرس اختطه رويفع بن ثابت الانصاري (الدباغ، مصر، صفحة ٢٧/١)

وقد حددت بعض المصادر التاريخية مساحة المدينة " ثلاثة الاف وستمائة باع" أي ما يعادل (٥٨٠٠ متر) (الاثير، صفحة ٣٢٠/٣) ومصادر اخرى " دورها ثلاثة عشر الف ذراع وستمائة ذراع" أي ما يعادل سبعة الاف متر (عذاري، صفحة ٢١/١)

شرائح المجتمع الساكنة في مدينة القيروان

عرب المغرب

لقد كان غالبية سكان منطقة الشمال الافريقي من عرب المغرب وهم قبائل متعددة وكثيرة (الحميري، صفحة ٤٤١) لكثرة بطونهم وتشعب قبائلهم (حوقل، صفحة ٩٧) وقد كان اقبالهم على اعتناق الاسلام والانضمام الى جيوشه في زمن مبكر (خلدون، صفحة ٢١/٣) وكان اغلب سكان عرب المغرب في القيروان من قبائل لواتة ونفزاوة، ونفوسة و زناتة وكان هؤلاء من القبائل البدوية الذين كانوا على عداء مع الروم (القيرواني) ويرجع اصول معظم هذه القبائل الى اصل عربي (خلدون، صفحة ٩٧/٦) وقد أيدوا الفتح العربي الاسلامي وكانوا اسرع استجابة من غيرهم للدخول في الدين الاسلامي (النويري، نهاية الارب، صفحة ٢٤/٢٣) ان عرب المغرب الذين دخلوا الاسلام قاموا بارشاد العرب المسلمين الفاتحين على طرق البلاد ومسالكها (مؤنس، صفحة ٢٨٤)

ان بناء القيروان كان مدعاة لإقبال القبائل المغربية المحلية على اعتناق الاسلام اذ استقرت فيها كثير من تلك القبائل او جاورتها بعد ان اطمأنت نفوسهم اليها (الاثير، صفحة ٣٢٠/٣) .

عرب المشرق

لقد استوطن العرب مدينة القيروان في زمن مبكر من تأسيسها، وقد كان غالبية سكان المدينة من الجند الذين اشتركوا في تحرير افريقية عندما تولى عقبة بن نافع ولايته الاولى سنة (٥٠ – ٥٥ هـ) ، وكان جيشه يتكون من عشرة الاف مقاتل ويتكون معظمه من القبائل العربية الموجودة في مصر (الابار، صفحة ٣٢٣/٢)

وهي التي جاءت مع عمرو بن العاص سنة (٢٢ هـ) او مع عبدالله بن سعد بن ابي سرح سنة (٢٧ هـ) وخلال حروب التحرير ، اذ إن غالبية القبائل العربية التي شاركت في عمليات التحرير والتي سكنت الفسطاط هي من القبائل اليمانية وان بعضا من القبائل اليمانية كان ملازما لعقبة بن نافع في عملياته العسكرية مثل مراد التي كان يقودها شريك بن سمي المرادي وبلي التي يقودها زهير بن قيس البلوي (الحكم، فتوح مصر واخبارها، صفحة ١٩٤) وهذا يعني ان غالبية جيش عقبة كان من القبائل اليمانية التي كانت تشكل نسبة كبيرة من قبائل مصر في ذلك الوقت (البكري، صفحة ٢٣) وعندما استلم ابو المهاجر دينار (٥٥ – ٦٢ هـ) ولاية افريقية من قبل مسلمة بن مخلد وهو اول من جمعت له مصر والمغرب وكان الجيش من اهل الشام ومصر (المالكي، صفحة ٢٠/١) وخلال ولاية عقبة بن نافع الثانية لأفريقية (٦٢-٦٤ هـ/ ٦٨٢ – ٦٨٤ م) كان معه خمسة الاف رجل من اهل مصر (الحكم، فتوح مصر و المغرب، صفحة ٩٩)

وقد ذكر بعض المؤرخين ان الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ/ ٦٨٥ – ٧٠٦ م) ارسل الى زهير قوات من اهل الشام وامدادات من مصر (المالكي، صفحة ٢٩)

وبعد استشهاد زهير بن قيس البلوي قرر الخليفة عبدالملك بن مروان اسناد ولاية المغرب الى حسان بن النعمان الغساني (٧٤ هـ/ ٦٩٣ م) وان القوات التي دخلت مع حسان بن النعمان الى المغرب هي اكبر قوة تدخل افريقية حتى هذا الوقت ولاسيما بعد ان انضمت اليها في طرابلس مجاميع اخرى من العرب الساكنين هناك وافراد من قبائل عرب المغرب (عذاري، صفحة ٣٤/١) من قبيلة لواتة اضافة الى القبائل العربية التي انضمت الى الحملة في مصر .

وبعد عزل حسان بن النعمان (٨٥ هـ/ ٧٠٤ م) اسندت ولاية المغرب الى موسى بن نصير، وبعد خروجه من مصر متوجهاً الى المغرب لم يأخذ معه قوات من أهل الشام ، بل كان معه بعض المتطوعين من القبائل العربية الموجودة في مصر (مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائهم، الصفحات ٣-٤)

لقد كان معظم المقاتلة العرب في اوائل تأسيسها من مقاتلة القبائل العربية الموجودة في مصر، ثم اضيفت اليهم اعداد من اهل الشام في زمن خلافة عبدالملك بن مروان، وان معظم المقاتلين كانوا يستقرون فيها وهذا يدل على ان المدينة تابعت نموها بالمقاتلة القادمين اليها وقد كونوا نسبة كبيرة من سكان القيروان عند تأسيسها (عذاري، صفحة ٣٤/١)

الافارقة

وهم من اهل البلاد الذين اختلطوا بالروم (حاجيات، صفحة ١٠٦/١) من بقايا الفينيقيين واللاتين وقد تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لساداتهم البيزنطين (لقبال، صفحة ١٥) وقد سكنوا مناطق برقة والمنستير والقيروان (عذاري، صفحة ١٢/١) واعتنق كثيرا منهم الاسلام من اجل المحافظة على اراضيهم وبقوا يحافظون على لغتهم الخاصة بالرغم من هذا كانت لديهم ميول انفصالية وشارك بعضهم في الحركات المناهضة للخلافة الاموية (حاجيات، صفحة ١٠٦/١) .

الـروم

ذكرت بعض المصادر التاريخية انهم احد اصناف سكان مدينة القيروان ومن من بقايا جند الحاميات البيزنطية الذين لم يرحلوا عن البلاد (اليعقوبي، صفحة ٣٤٨) وقد كان الروم مسيحيين على المذهب الكاثوليكي (خلدون، صفحة ١٠٧/٦)

كانوا يعملون في الزراعة وقسم اخر عمل في التجارة اذ ان دخولهم في الاسلام من اجل المحافظة على اموالهم وظلوا يكونون جماعات منفصلة عن عرب المغرب (حاجيات، الصفحات ١٠٩/١-١١٠)

اليهـود

وبعد فتح العرب المسلمين لمنطقة الشمال الافريقي، بقي اليهود يحتفظون بديانتهم وفضلوا الاقامة في ظل الاسلام والمسلمين. ودخلوا بذلك في الذمة ، واتخذوا لهم مراكز ومستوطنات في طرابلس والقيروان (الخوجة، صفحة ١٢)

ولقد كانت بيوتهم قريبة من بعضها، تتصل فيما بينها بدروب ضيقة وساحات صغيرة، ولهم فيها حمامات ومعابد وقد اختلطوا بالعرب المسلمين وامتزجوا بهم ، واقاموا في ظل امارة عقبة بن نافع بالقيروان (الخوجة، صفحة ١٢)

وقد ذكر بعض المصادر التاريخية ان اليهود الذين بدأوا يتوافدون على افريقية، منذ بداية الفتح العربي الاسلامي لها، فقد كونوا نواة لأقلية بدأت تتضخم شيئاً فشيئاً، ففي مدينة القيروان انشأوا حياً مستقلاً بهم سموه حارة خيبر، اتسع بسرعة خلال سنوات قليلة (حسن، ١٩٦٥، صفحة ٢٥٥/٣)

وقد شكل اليهود اقلية في مدينة القيروان وكانت لهم فيها حارة تعرف بحارة خيبر، وقد عمل هؤلاء بالتجارة وكان لهم سوق يعرف بسوق اليهود (القيرواني، صفحة ١٦٧)

العادات والتقاليد :

لقد كان لأهل القيروان عادات وتقاليد مثلهم مثل بقية المدن الاسلامية الاخرى يمارسها اهل المدينة سواء أكانت تتعلق بالأطعمة والزواج والاحتفالات والشعائر الاخرى.

بعض من العادات الخاصة بالأطعمة

كانت لهم اخباز خاصة بالمواسم مثل الخبز المبسس في العيد والخبز الفطير في عيد الفصح لليهود، وخبز البشماط للبحرين والحجاج، وهناك اطعمة خاصة بالمناسبات، فطعام الوكيره للدار الجديدة، والعقيقة للختان والوليمة للزفاف واطعمة للمآتم (الكعاك، الصفحات ٢٩-٣٠) وفي العيد يتم اعداد مائدة للعيد تشمل الاطعمة والحلوى تسمى مائدة العيد وفيها انواع الاطعمة والحلوى. ويتهيئون في اعداد الملابس والزينة والطيوب والحناء لمناسبة العيد (المالكي، صفحة ٧١/١) وللطعام آداب مرعية منها دعاء الشكر وغسل اليدين والالحاح على تناول الطعام (الكعاك، صفحة ٣١)

بعض من عادات وتقاليد الزواج

اما ما يخص العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج ، فان المرأة او وليها يشترط على الزوج عند العقد بانه متى تسرى عليها بغيرها يصبح امرها بيدها بحيث تطلق نفسها ان شاءت وتعرف في احكام الانكحة بالطريقة القيروانية او بالصداق القيرواني، وبهذه الصورة لم يكن لأهل القيروان رغبة في تعدد الزوجات ويقتصر عرب المغرب على زوجة واحدة وخلال زواج ابي جعفر المنصور من اروى بنت منصور بن يزيد الحميري، فقد اشترط ولي امرها في عقد زواجها الا يتزوج غيرها ولا يتخذ السراري معها، فان تسرى عليها كان طلاقها بيدها كما جرت بذلك عادة اهل القيروان (الدباغ، مصر، صفحة ٢٢٤/١) ولهم بعض من عادات وتقاليد تتعلق بالحياة الاجتماعية من ولادة وفطام وختان وزواج وموت (الكعاك، الصفحات ٨٦-٩٤)

الاحتفالات

لقد كان لأهل القيروان احتفالات يقومون بها كبقية المدن الاسلامية الاخرى وكانت هذه الاحتفالات تقام بالمناسبات نجد ان هذه الاحتفالات يغلب عليها الطابع الديني الذي يجيزه الشرع الاسلامي وكمظهر من مظاهر احتفال اهل القيروان بالعيد فقد يقوم الناس بأعداد الثياب والزينة والحلي وكذلك يقومون بأعداد موائد خاصة للعيد تحتوي على انواع الاطعمة والحلوى والى جانبها الطيوب والحناء (المالكي، صفحة ٧١/١)

وخلال ولاية زهير بن قيس البلوي على القيروان (٦٩ هـ/ ٦٨٨ م) زحف كسيلة بن لمزم الى القيروان وكان معه من عرب المغرب والروم وقد ارسل زهير الى الروم وقال لهم " إنا واياكم اهل كتاب وقد حضرنا يومٌ نعظمهُ، فأخروا حربنا حتى ينقضي العيد" فأجابوه الى ذلك (المالكي، صفحة ٢٩/١) وقد يجتمع اهل القيروان في الجامع لأداء صلاة العيد وبعدها تقام احتفالاتهم البسيطة مثل العاب الفروسية ومنها لعبة الصولجان او لعبة الكرة على الخيول ثم المبارزة على الخيول بين رجلين ، كما كانت هناك من العاب الفروسية ما يسمى ملعب وهو ان يأتي بطبال وصاحب ناي فينشأ عن ذلك توقيع خاص فترقص عليه الخيول ثم يجري سباق وهجمه يسمى المشاق ويرقص اصحابه فوق ظهور الخيل وقوفاً وجلوساً وامتداداً على اجنابها وكذلك اللعب بالحراب وسباق الخيل عادة يكون خارج المدينة، وتكون هذه ايام راحة للشعب (زيتون، صفحة ١٧٩)

وتذكر لنا المصادر احتفال موسى بن نصير بعد رجوعه من الاندلس الى القيروان اذ رأت " ان موسى بن نصير لما وصل من الاندلس الى القيروان قعد يوماً في مجلسه، فجاءه العرب يسلمون عليه فلما احتفل المجلس قال : انه قد صحبتني ثلاث نعم : اما واحدة فان امير المؤمنين كتب يهنئني في كتابه، وأمر بقراءة كتاب امير المؤمنين، فهنيء بذلك ، واما الثانية فان كتاب ابني قدم على بانه فتح له بالأندلس فتح عظيم ، فامر بكتاب ابنه فقرئ فهنيء بذلك ، واما الثالثة فما صحبني في مقدمي هذا من الاموال ، والسبي من الاندلس" فهنيء بذلك (المالكي، صفحة ٧٧/١)

اما عن احتفالات الزواج " بان الزواج خطبة وفاتحة وعقد قران وزفاف، فالخطبة تقع من اعيان البلد يتقدمهم شريف أو شخصية علمية مشتهرة او شخصية مرموقة، ويتم عقد القرآن في الجامع ويحضره عدول العقد والشخصيات الدينية ويحضره المدعوون فتتلى خطبة ويقع القبول والايجاب ثم تتلى فاتحة الكتاب ويبخر المكان ويرش الحاضرون بالطيب، اما عن ليلة العرس فيقوم العريس بأرسال السفساري وهو لحاف من حرير الى عروسه ، وعدد من عربات الخيول ويذهب جماعة من لدنه الى دار العروسة لاصطحاب الموكب (الكعاك، الصفحات ٨٩-٩١)

الغناء والموسيقى

عندما تم تحرير افريقية قام العرب المسلمون، وفضلاً عن ادخالهم الدين الاسلامي، فقد ادخلوا الى البلاد لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكان اغلب الوافدين الاولين من العرب المسلمين من الجند وكانوا لامحالة يتغنون باشعارهم على طريقة الحداء التي كانت شائعة في شبه جزيرة العرب وهي الحان كانوا يتسلون بها في اسفارهم وفي مسايرة ابلهم (حسن، ١٩٦٥، صفحة ١٧٣/٢) وعندما جاء الاسلام لم تكن لأهل افريقية الاغاني الا عبارة عن ضروب من الاصوات التي تروق بساطتها وكانوا يستعملون في ذلك الحين الطبل والدف والصنوج وقد اخذ عرب المغرب عن العرب المحررين الحداء بطريقة تكاد تكون عفوية وتلقائية، فقد كانوا مثل العرب رعاة يسيمون الماشية في المراعي ويركبون الجمال في اسفارهم وتنقلاتهم فجاء الحداء ليلبي حاجاتهم الى استشعار الراحة والانس في السفر وليحث على مضاعفة سيرها. وان ميل الافريقيين الى الطرب واللهو هو ميل غريزي في النفوس البشرية، واستعدادهم للغناء والموسيقى فطري لذلك كان هذا الفن مطمح انظارهم ومحط رحالهم (الرازقي، صفحة ٢٨) ويعد

الحداء في تسيير القوافل نمطاً تأثيرياً عربياً واضحاً (مادون، صفحة ١٧٢) وقد كان ذلك الفتح بحق فتحاً حضارياً لمنطقة الشمال الافريقي يسير في ركاب الفتح الاسلامي (الجليل، صفحة ١٩) .

ان بساطة الموسيقى لأي شعب كان بالات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض، فقد كانت الاتهم بسيطة وكان منها المزمار وتسمى عندهم (الشبابة) يتخذ في اغلب الاحيان من القصب وينفخ فيه وكان عندهم الرباب ذي وترين لاغير (حسن، ١٩٦٥، صفحة ١٧٢/٢)

الملابس :

لقد كانت لأهل القيروان ملابسهم الخاصة التي يلبسونها وقد يكون فيها اختلاف بسيط عن بقية المدن الاسلامية الاخرى.

فقد كان لباس الرجل يتكون من قميص وسراويل وجبة صوف يتحزم عليها بازار ملون ويغطي الرأس بعمامة وتسمى ايضاً لفافة ويوضع فوقها الدوخلة التي تنزل على القفا ويتحذى بالنعال في الشتاء وبالخفاف في الصيف ويمتاز الاغنياء بلبس الاسماط والشروف (الشرافي الثياب البيض) والفرو والسامور ويلبسون القلنسوة عوضاً عن العمامة، وقد يختلف شكلها من قصيرة الى طويلة وتكون صوفاً او قطناً رفيعاً، وربما كان بعضهم يتغالى في لباسه وينفق كثيراً في اقتنائه (حسن، ١٩٦٥، صفحة ٤٢)

وكان بعض الشيوخ يتأنقون باللباس وقد ذكر بان اسماعيل بن عبيد الانصاري الملقب بتاجر الله كان يلبس جبة من صوف وكساء من صوف وقلنسوة من صوف (المالكي، صفحة ٧٠/١) وان لباس عامة اهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الثياب القطن (القلقشندي، صفحة ١٠٢/٥) وقد اشتهرت القيروان ومدن المغرب بالحرير والاكسية الصوف الرفيعة والدنية الى جباب الصوف وما يعمل منه (حوقل، صفحة ٩٥) و لباسهم واكثر اثاثهم من الصوف والجبه هي رداء شامي الاصل ضيق الاكمام وتبطن الجبة بالفراء او بالقطن في الشتاء اما في الصيف فتصنع من قماش خفيف او من الحرير (هارتمان، صفحة ٣٠٢/٦) .

اما لباس المرأة فأنها تكتسي برداء من قطن او من حرير على حسب مكانتها وتجعل فوقه غلالة تشدها بمئزر ، وتتزين بأنواع من الحلي مثل الاساور المرصعة والخلاخيل المنقوشة، واذا خرجت من منزلها ترتدي وتضرب على

وجهها المعجر وتضع برجليها خفاً (زيتون، صفحة ١٧٥) وقد كانت المرأة القيروانية تلبس الثياب الحسان والزينة يوم العيد (المالكي، صفحة ٧١/١) وذكر ان الحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب وبسوسه تقصر ثياب القيروان الرفعيه (البكري، صفحة ٣٦)

العمارة

ان بنايات مدينة القيروان في اول امرها كانت بسيطة، وقد استعمل لتشييدها قراميد الاجر غير المطبوخ لوجود الطين المناسبة في ذلك المكان ولخلو ضواحي المدينة من الحجارة (حسن، ١٩٦٥، صفحة ٤٨/١) وكان بناؤها بالمدر نظرا لقلة الحجارة في القيروان، فقد كانوا يجلبون الحجارة اليها من سبيطلة او من صبرة وكان بنيانهم مدر وآجر (المقدسي، صفحة ٢٢٥) .

ان اغلب العرب الذين شاركوا في تحرير افريقية انطلقوا من مدينة الفسطاط التي كانت تخرج منها الجيوش العربية الاسلامية الى شمال افريقية فبطبيعة الحال قد اسسوا بيوتهم على شكل منازل اهل الفسطاط ، واذا علمنا ان بيوت الفسطاط كانت مبنية بالطوب (اللبن) وسقفت بجذوع النخيل والقصب (حوقل، صفحة ٩٤)

وقد استفادوا من الاشجار التي قطعوها عندما ارادوا تنظيف المكان. وكانت البيوت تتكون من طابق واحد وتبنى من قطع من الاجر المتكون من الرمل الرطب والحجارة مضغوطه سوية في قالب على شكل قطع ثم ترفع هذه القوالب عندما يجف ويتصلب ثم اخذ الناس في بناء مساكنهم (عذاري، صفحة ٢١/١) ويصف ابن حوقل القيروان بقوله " أعظم مدينة بالمغرب... واحسنها منازل " (صورة الارض، صفحة ٩٤) ويصفها آخر بقوله " اتقنها بناء" (الادريسي، صفحة ٨٠) وقد عُمرت بمختلف انواع الابنية والمنشآت وشد الناس اليها المطايا من كل افق وعظم قدرها (عذاري، صفحة ٢١/١) ودامت حركة البناء فيها نحو خمس سنوات ، فكمل بناؤها في سنة ٥٥هـ (خلدون، صفحة ٢١/٣) .

الخاتمة

١ – فقد اشارنا الى فاتح مدينة القيروان وما هي اهم الاسباب لبناء مدينة وما هي وظيفتها السياسية والعسكرية وما هو دورها في عمليات الفتح لبلاد المغرب العربي .

٢ – وقد وضحنا نوع الاجناس الساكنة في مدينة القيروان من القبائل العربية من المشرق والاديان والافارقة من البربر .

٣ – وتطرقنا الى اهم العادات والتقاليد التي كانت سائدة في مدينة القيروان وكانت اهمها الملابس والاطعمة والموسيقى والغناء وكان أهل القيروان يميلون الى السماع للطرب المشرقي الذي نقله الجيش الاسلامي الفاتح وغيرها من العادات السائدة مثل الزواج والاحتفالات والشعائر الاخرى.

٤ – وكان للبناء والعمارة في مدينة القيروان التمييز بالبناء والتي اخذت من العمارة المشرق المتمثل بالجزيرة العربية وبلاد الشام حتى تميزت بالبناء والقرميد والحجر والتنظيم بالبناء .

المصادر والمراجع :

ابن الابار. (بلا تاريخ). *الحلة السيراء*.

ابن الخوجة. (بلا تاريخ). *اليهود في المغرب العربي*.

ابن حوقل. (بلا تاريخ). *صورة الارض*.

ابن خلدون. (بلا تاريخ). *العبر*.

ابن عبد الجليل. (بلا تاريخ). *مدخل الى دراسة الموسيقى المغربية*.

ابن عبد الحق. (١٩٥٥). *مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة و البقاع* . بيروت.

ابن عبد الحكم. (بلا تاريخ). *فتوح افريقيا والاندلس.*

ابن عبد الحكم. (بلا تاريخ). *فتوح مصر و المغرب.*

ابو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) ابن الاثير. (١٩٨١). *الكامل في التاريخ* . بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو العباس احمد بن ابي يعقوب (ت : ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) اليعقوبي. (١٨٩٠). *البلدان.* ليدن: مطبعة بريل.

أبو عبيد البكري. (١٩٨٩). *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك.* بغداد: مكتبة المثنى.

ابي العباس أحمد بن محمد (ت : ٧١٢ هـ) ابن عذاري. (د.ت). *البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب.* (تحقيق ، بشار عواد، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

أبي عبيد الله الادريسي. (٢٠٠٢). *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق.* القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

احمد بن علي (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٩م) القلقشندي. (١٩٨٧م). *صبح الاعشى في صناعة الانشاء* (المجلد ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن يحيى (ت : ٢٧٩ هـ) البلاذري. (١٩٩٦). *فتوح البلدان* (المجلد د.ط). مصر: د.م.

الحميري. (بلا تاريخ). *الروض المعطار.*

الدباغ. (مصر). *معالم الايمان في معرف اهل القيروان.* ١٩٦٨.

الرازقي. (بلا تاريخ). *الاغاني التونسية.*

الرقيق القيرواني. (بلا تاريخ). *تاريخ افريقية و المغرب.*

الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي. (٢٠١١). *معجم القاموس المحيط : رتبة و وثقه: خليل مأمون شيحا .* بيروت: دار المعرفة.

القزويني. (بلا تاريخ). *اثار البلاد واخبار العباد*.

القلقشندي. (بلا تاريخ). *صبح الاعشى*.

الكعاك. (بلا تاريخ). *التقاليد والعادات التونسية*.

المالكي. (بلا تاريخ). *رياض النفوس*.

النويري. (بلا تاريخ). *نهاية الارب*.

الواقدي. (تونس). *فتوح افريقية*. ١٩٦٦.

اليعقوبي. (بلا تاريخ). *البلدان*.

حسين مؤنس. (بلا تاريخ). *فتح العرب للمغرب*.

خليفة ابن خياط. (بلا تاريخ). *تاريخ خليفة*.

زيتون. (بلا تاريخ). *القيروان ودورها في الحضارةالاسلامية*.

شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر(ت : ٣٨٠هـ /٩٩٠م) المقدسي. (١٩٠٦). *احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم*. (نشر دي خويه، المحرر) ليدن: مطبعة بريل.

شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) ياقوت الحموي. (١٩٠٦). معجم *البلدان* . القاهرة : دار المعارف.

عبد الحميد حاجيات. (بلا تاريخ). *تاريخ المغرب العربي*.

عبد الرحمن ابن خلدون. (١٩٧١م). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) ابن عبد الحكم. (١٩٢٠). *فتوح مصر وأخبارها*. (تحقيق: تشارلز تودي، المحرر) بغداد: مكتبة المثنى.

عبد الوهاب حسن. (١٩٦٥). *ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية*. تونس.

مادون. (بلا تاريخ). *عروبة البربر*.

مجهول. (بلا تاريخ). *اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائهم*.

مجهول. (بلا تاريخ). *الاستبصار في عجائب الامصار*. مصر.

محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ابو القاسم (ت: ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) ابن حوقل. (١٩٣٨). *صورة الارض* . بيروت : دار صادر.

محمد بن عبد الله بن ابي بكر(ت : ٦٥٨ هـ /١٢٦٠ م) ابن الآبار. (١٩٨٥م). *الحلة السيراء* (المجلد ط٢). (تحقيق، حسين مؤنس، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

محمد بن عمر بن واقد المدني أبو عبد الله الواقدي (ت : ٢٧هـ) الواقدي. (١٤٠٩هـ). *المغازي، تحقيق: نارسدن جونس، دار الأعلمي ، ط٣ ، بيروت* .

موسى لقبال. (بلا تاريخ). *المغرب الاسلامي*.

هارتمان. (بلا تاريخ). *الجبة الاسلامية*.